١ ــ السبل الى الوحدة العربية :

تظهر في التاريخ الحديث للعرب أربعة سبل مختلفة الى الوحدة : السبيل التعاقدي، والسبيل المتدرج ، والسبيل الثوري ، والسبيل العملي functionalist . ولكل من هذه السبل مدرسته الفكرية وابطاله الخاصون ودعاته واتباعه ويستشهد باختبارات سياسية معينة لاثبات فعاليته . ومع ان ترتيبا زمنيا ينطبق على هذه السبل ومع انه كان لكل منها ايام عزه الخاصة ، فانها لا تنحصر في مراحل خاصة بها . وهي تستمر في التأثير على المشاريع الوحدوية حتى حينما تكسفها أفكار أقوى منها .

أ) وجهة النظر التعاقدية وتجربة الجامعة العربية :

السبيل الاول رسمي وتعاقدي في نظرته العامة وقد وجد التعبير الرئيسي عنه في تأسيس جامعة الدول العربية . وتعود هذه التجربة الى فترة الطفولة في الحركة القومية وتعكس الصدمات والتناقضات ومواطن الضعف في الفكرة القومية عينها . وكان المقصود من هذه المحاولة الاولى أن تكون شاملة لجميع العرب ، خلافا لمحاولات الوحدة اللاحقة التي كانت دوما جزئية . وكان عليها في ذلك ان تتجاوز مشاعر الحسد والتنافس والتباينات الموجودة آنذاك بين الدول العربية الاصلية السبع المتعاقدة عن طريق اقامة رابطة فضفاضة وتكريس مبدأ سيادة الدولة. وكانت جامعة الدول العربية التي نتجت عن ذلك أبعد ما تكون عن مطالب القوميين ، الذين شعر الكثيرون منهم ان المولود الجديد هو خيانة للآمال الوطنية وتحرك يهدف الى تطويق المطالبات بسياسة قومية تتخطى الدول . صحيح ان اعضاء الجامعة لم يتصوروا انها خطوة نحو وحدة سياسية تامة او جزئية لانهم لم يكونوا راغبين في التخلي عن اي من السلطات التي ورثوها عن الدول الاستعمارية المتراجعة . غير ان الاهتمامات الاقليمية استمرت بواسطة اتجاهات أخرى . واقتضت العاطفة الشعبية والتطورات المهددة في فلسطين والمصالح المشتركة وتشجيع بعض الدول الكبيرة مستوى مــا من التعاون . فكانت الجامعة ، اذن ، نتاج قوتين متنازعتين ، هما العروبة والاقليمية ، تعملان في وضع دولي يؤيد الثانية .

ولم تدعم الجامعة بأية طريقة مباشرة ، بوصفها التجسيد الاول للمشاعر الوحدوية، الاندماجات السياسية الفعلية بين البلدان العربية . وكــان تأثيرها واسهامها غــير مباشرين بشكل تام . وتمكن الاشارة الى اثنين من هذه التأثيرات غير المباشرة . أولا ، ان جمع كل البلدان العربية ضمن اطار تنظيمي واحد قد أعاق الطاقــة الكامنة لنمو اقليمية اكبر في فترة خطيرة من فترات بلوغها النضج السياسي ، وبالتالي ساعد في حفظ الهوية القومية من التبديد . ثانيا ، ان اسهام الجامعة غير المباشر والذي لا يقل أهمية عن التأثير الاول في فرص الوحدة كان في الحقل الوظيفي(٣). فقــد ساعدت المؤتمرات المختلفة ، والوكالات المتخصصة ، والمعاهدات للتعاون الاقليمي وغيرها من النشاطات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية على ارهاف حساسية الاقطار العربية لفوائد التعاون المتبادل وتنسيق السياسات ؛ وبالتالي خفضت مستوى اعتماد كل منها على العالم الخارجي وزادت من اعتمادها على بعضها بعضا . وأعرب عن الرأي نفسه عبد الخالق حسونة ، الامين العام السابق للجامعة ، في خطابــه بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس الجامعة . قال :

الحقيقة هي ان الجامعة قد مهدت الطريق لوحدة العــرب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية . فان ميثاق الجامعة وميثاق الضمان الجماعي العربي ، والمعاهدة الثقافية العربية ، والكثير من الاتفاقات الاقتصادية والمالية التي بلغت اوجها في ابرام الميثاق الاقتصادي بين الدول العربية وفي مشروع مصرف الانماء العربي ،